

## هل ( ما يرى أنه حذف ) من المجاز ؟

د. علي عبدالفتاح الحاج فرهود

فيما مرَّ بيان مفهوم الحذف ، ومنهج القول به ، إذ هو زعم جزءٍ ساقطٍ في الكلام ، فهل يعني رفضُ هذا المفهوم والتناول في القرآن الكريم بخاصَّةٍ رفضاً للمجاز ، وإنكاراً له ؟ قبل الإجابة عن هذا التساؤل ، لابدَّ لي من التعريف بالمجاز - بإيجاز - وبيان المقصود به على وجه الدقة.

أما المجازُ فهو: (( عبارة عن تجوُّز الحقيقة. فإنَّ المراد منه أن يأتي المتكلم بكلمةٍ يستعملها في غير ما وضعت له في الحقيقة ، بحيث يأتي المتكلم إلى اسمٍ موضوعٍ لمعنى فيخصُّه إما أن يجعله مفرداً بعد أن كان مركباً ، أو غير ذلك من وجه الاختصاص. والمجاز جنسٌ يشتمل على أنواع كثيرة ، كالاستعارة والمبالغة ، والإرداف ، والتمثيل ، والتشبيه ، وغير ذلك مما عُدل فيه عن الحقيقة الموضوعية للمعنى المراد))<sup>(١)</sup>. وميَّزاً بين الحقيقة والمجاز قال ابن الأثير: (( الحقيقة... هي اللفظ الدالُّ على موضوعه الأصلي. وأما المجازُ فهو ما أُريدَ به غيرُ المعنى الموضوع له في أصل اللغة))<sup>(٢)</sup>.

نخلصُ مما مرَّ إلى أنَّ المجازَ هو استعمالُ اللفظ في غير معناه الحقيقي ، أو إضافة معنى آخر غير حقيقيٍّ على اللفظ بوساطة السياق الذي يردُّ فيه ذلك اللفظ. وهذا المعنى للمجاز بعيدٌ تماماً عما يُرادُّ بما يُعرف بـ(الحذف) ، فأين الطرحُ أو عدمُ الذِّكر من الذِّكر بمعنى آخر غير حقيقيٍّ للفظ<sup>(٣)</sup>.

ففي قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف/٨٢] - مثلاً - ذهب الكثيرون إلى أنَّ في النصِّ الكريم محذوفاً ، والتقدير - عندهم - : ( واسأل أهل القرية )<sup>(٤)</sup> ، بحجة أنَّ القرية لا تُسأل ، وعدُّوا هذا الحذف والتقدير من المجاز.

(١) خزنة الأدب ، عبدالقادر البغدادي ٤٤٠:٢. وينظر: مسائل خلافية في النحو ، أبو البقاء العكبري ، تح: محمد خير الحلواني ٣٩-٤٣.

(٢) المثل السائر ٧٤:١. وينظر: المزهر ٢٨١:١.

(٣) ينظر في عدم عدِّ (الحذف) - عند بعض القائلين به- من المجاز: البرهان ١٠٣:٣. والإتقان ١٢٤:٣.

(٤) ينظر: الحجة في القراءات السبع ، ابن خالويه ، تح: د. عبد العال سالم مكرم ١٣٥:١. ومشكل إعراب القرآن ٧٠٥:٢. والأمال في الشجرية ١: ٥١-٥٢. والجامع الصغير في النحو ، ابن هشام ، تح: محمود أحمد الهرميل

والأرجح أنَّ في النصِّ الكريم مجازاً ، ولكنه ليس بالمعنى الذي ذهب إليه هؤلاء المقدِّرون. فالحجَّاز يمكن أن يكون في لفظ الطلب (واسأل) ، في ضوء حدِّ المجاز المذكور فيما سبق ، وبُعْدِ (الحذف) - كما عُرِفَ - عن التفرُّع عنه ، إذ لا يمكن - والله أعلم - أن يراد - هنا - السؤال الحقيقي الذي يستدعي جواباً من المسؤول ، أي: السؤال اللفظي الذي يستدعي جواباً لفظياً ، فالمراد بالطلب (اسأل) - مجازاً ، والله أعلم - هو التحري والاطلاع شخصياً من قِبَلِ النبيِّ يعقوب (عليه السلام) - وهو الموجَّه إليه الطلب (اسأل) - على أحوال القرية التي أتى منها أبناؤه ، وأنها تموج بحركة غير طبيعية بسبب دأب أهلها وهم يبحثون عن صواع الملك الذي فُقد أو سُرِق ، حتى عُرضت جائزة قيِّمة - لمن يأتي به ، بقول أصحابِ الشأن في البلاط: ﴿ نَفَقْدُ صُوعِ الْمَلِكِ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ [يوسف/٧٢] - من المؤونة والطعام ، وهي غاية كلِّ فرد في مصر - آنذاك - لشدة القحط والمِ الجذب والفاقة ، حتى صارت هذه الجائزة باعثاً ومحفزاً كبيراً للبحث عن هذا الصواع. فلما وُجدَ في رَحْلِ أخِي النبيِّ يوسف (عليه السلام) وهو (بنيامين) حجزه النبيُّ يوسف (عليه السلام) عنده، وقال لإخوته: ﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا... ﴾ [يوسف/٨١] وهي وسيلة - بمشيئة إلهية - قَرَّبَ بِهَا النبيُّ يوسف (عليه السلام) أخاه وأبْلَغَ بِهَا - بصورة غير مباشرة - أباه بوجوده وعلو شأنه. ولعلَّ أدلَّ دليلٍ على أنَّ هذا السؤال مجازي لا يُراد به جوابٌ ملفوظٌ كي يوجَّه إلى العقلاء (أهل القرية) ، قولهم بعد ذلك للنبيِّ يعقوب (عليه السلام) : ﴿ وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف/٨٢] إشارة إلى قافلة الدواب التي تحمل ما جاؤوا به ، وأنهم كانوا في مصر عند من كُلفَ توزيع المؤن ، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَيْتِهَا الْعِيرَ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ [يوسف/٧٠]. فلو كان المراد - والله أعلم - (أهل العير) كما قيل: إنَّ المراد (أهل القرية) لما كان من الصواب أن يقولوا: (واسأل أهل العير) ، لأنَّ المتكلم الذي قال: (واسأل) هو مَن أقبل في العير. فلو كان السؤال مما يطلبُ جواباً - كي يُقدَّر في النصِّ: (أهل) - لكان الأولى بهذا المتكلم إبانة الأمر لفظياً بنفسه ، لا أن يطلبَ من غيره تبينه أو الحديث عليه ، فهو يعلم بمجريات الحدث ويعرفها ، والله أعلم. قال ابنُ جني في مجازِ هذا النصِّ الكريم ، ودلالته: (( والحقيقة ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة. والمجاز: ما كان بضدِّ ذلك. وإنَّما يقع المجازُ ويُعدَّلُ إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة وهي: الاتساع ،

والتوكيد ، والتشبيه. فإنَّ عَدَمَ هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة... وقوله سبحانه: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف/٨٢] فيه المعاني الثلاثة ، أما الاتساع فلأنه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله... وأما التشبيه فلأنها شُبِّهَتْ بِمَنْ يَصِحُّ سؤَالُهُ لما كان بِهَا ومؤلفًا لها ، وأما التوكيد فلأنه في ظاهر اللفظ إحالة بالسؤال على مَنْ ليس من عادته الإجابة فكأنهم تضمَّنوا لأبيهم (عليه السلام) أنه إن سأل الجمادات والجبال أنبأته بصحة قولهم. وهذا تناهٍ في تصحيح الخبر ، أي: لو سألتها لأنطقها الله بصدقنا. فكيف لو سألت مَنْ مِنْ عادته الجواب ((٥)).

وقد ذهب السيد جعفر الحسيني هذا المذهب حين قال: (( هذا التعبير [ أي: واسأل القرية ] يُشيرُ إلى قوة الاحتجاج بتلك القرية ، لكأنَّ القرية كلها ستجيب عن السؤال ، وسيحدث أهلها وتشهد بيوتها وشوارعها ، وتنطق أرضها ويؤمن هواؤها ... فإذا القرية كلها تُسأل ، وإذا القرية كلّها تُجيب. فهو ... أسلوب بلاغي رائع في لوحة مصورة )) (٦).

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ الطلب (اسأل) قد ورد على الحقيقة ، لا على المجاز في (١٠) عشرة مواضع في القرآن الكريم ، أي: مما يستدعي ويطلب جوابًا من شخص ، أو من أشخاص مقصودين محددين. ودلالته هذه جلية في تلك المواضع ، ومنها - مثلاً - قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف/١٦٣] ، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس/٩٤] ، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف/٥٠] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/٤٣] ، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ [المؤمنون/١١٣] (٧). والفرق واضح بجلاء بين دلالة الطلب في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف/٨٢] ، فهو على المجاز ، لا على الحقيقة ، لأنه لا يستدعي ولا

(٥) الخصائص ٢: ٤٤٢ و ٤٤٧. وينظر: أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تح: هـ. ريتز ٣٦٧. والمزهر

٣٣٦:١. والبلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب البكاء ٢٣٥-٢٣٦.

(٦) أساليب البيان في القرآن ٤٣٨-٤٣٩.

(٧) أما المواضع الأخرى فهي: [الإسراء/١٠١] ، و [الأنبياء/٦٣] ، و [الفرقان/٥٩] ، و [الزخرف/٤٥].

يطلبُ جوابًا ، ولو كان الأمرُ كما زعمَ المقدِّرونَ لقليلٍ: (واسألِ أهلَ القريةِ) ، شأنه - لو كان للسؤال حقيقةً ، لا مجازًا - شأنُ المواضع الأخرى المذكورة ، والله أعلمُ بمراده.

س١ / المجازُ له حدودٌ ، والحذفُ له حدودُهُ. ناقش هذا المفهوم ؟

س٢ / كيف نفهمُ المجازَ في القرآنِ الكريمِ ، وهو خلافُ الحقيقةِ ؟

س٣ / هل يجبُ علينا أن نقرأَ الكلماتِ القرآنيةَ على حقيقةِ دلالاتِها ؟ فإذا كان معناها

يتعارضُ وصحةَ الدلالةِ ؛ كيف أقرأُ دلالةَ تلكَ الكلماتِ على خلافِ حقيقتها ؟